AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

Jurnal Afaq Lughawiyyah
Universiti Sultan Zainal Abidin
مجلة آفاق لغوية - جامعة السلطان زين العابدين

تطورتعليم اللغة العربية في ماليزيا: دراسة تاريخية تحليلية

[THE EVOLUTION OF ARABIC EDUCATION IN MALAYSIA: A HISTORICAL ANALYSIS]

Somaia Farouk Ibrahim & Nurazan Mohmad Rouyan

Faculty of Languages and Communication, Universiti Sultan Zainal Abidin (UniSZA), Malaysia

Corresponding Author: *somaiafarouk.ib86@gmail.com*

Received: 17/4/2025 *Accepted: 19/6/2025* *Published: 31/8/2025*

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تتبّع المراحل التاريخية التي مر بها تعليم اللغة العربية في ماليزيا، وتحليل العوامل الدينية والثقافية والسياسية التي أثرت في انتشاره وتطوره. فمنذ دخول الإسلام إلى أرخبيل الملايو عبر التجار والدعاة العرب، أصبحت اللغة العربية جزءًا أساسيًا من الهوية الدينية والثقافية للمسلمين في المنطقة، وارتبط تعليمها بتعلّم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام. وقد مر تعليم العربية بتحولات بارزة، ابتدأت بالحلقات العلمية في المساجد و"الكتاتيب" التقليدية المعروفة محليًا بـ"الفندق"، ثم تطورت إلى مدارس دينية منظمة تحظى برعاية السلاطين والعلماء. ومع مجيء الاستعمار الإنجليزي، تراجع موقع اللغة العربية لصالح اللغات الأوروبية والآسيوية الأخرى، مما أحدث فجوة تعليمية ولغوية بين الأجيال. إلا أن النهضة التعليمية في القرن العشرين شهدت عودة تدريجية لتعليم اللغة العربية، تُوِّجت بإنشاء المدارس الدينية الوطنية (SMKA) وتطبيق برنامج (J-QAF) في عام ٢٠٠٥، الذي أعاد إدماج العربية في المناهج الابتدائية. يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي، ويستند إلى وثائق تربوية وسياقات اجتماعية وثقافية، مستخلصًا من التجربة الماليزية نموذجًا لفهم علاقة اللغة العربية بالهوية الإسلامية في المجتمعات غير العربية، وآفاق تطويرها مستقبلًا.

الكلمات المفتاحية: تعليم اللغة العربية، أرخبيل الملايو، الناطقون بغير اللغة العربية

Abstract

This study aims to trace the historical development of Arabic language education in Malaysia and to analyze the religious, cultural, and political factors that influenced its spread and evolution. Since the

arrival of Islam to the Malay Archipelago through Arab traders and preachers, the Arabic language has become an essential component of the religious and cultural identity of Muslims in the region. Arabic instruction was initially tied to the learning of the Qur'an and Islamic teachings, beginning with mosque study circles and traditional Quranic schools known locally as pondok. Over time, Arabic education evolved into more structured religious schools supported by sultans and scholars. However, during the British colonial period, Arabic lost its status in favor of European and Asian languages, creating an educational and linguistic gap across generations. The 20th century witnessed a revival, marked by the establishment of national Islamic secondary schools (SMKA) and, later, the launch of the J-QAF program in 2005, which reintroduced Arabic into the national primary school curriculum. This research adopts a historical-analytical methodology and is based on educational records and socio-cultural contexts. It presents the Malaysian experience as a model for understanding the role of Arabic in shaping Islamic identity in non-Arab societies and highlights opportunities for its further development.

Keyword: *teaching of Arabic language, Malay Archipelago, non-native Arabic speaking*

مقدمة

تُعد اللغة العربية من اللغات العالمية التي ارتبطت بالإسلام ارتباطًا وثيقًا، إذ نزل بها القرآن الكريم، وكانت الوسيلة الأولى لنقل المعارف الدينية والتشريعات الإسلامية إلى الشعوب غير العربية. ومن بين تلك الشعوب، كان للمجتمع الماليزي تجربة فريدة ومتميزة في استقبال اللغة العربية وتعليمها، بدأت منذ فجر الإسلام في جنوب شرق آسيا، ومرت بمراحل متعددة تأثرت بالسياق السياسي والديني والثقافي للبلاد.

وقد لعبت اللغة العربية دورًا محوريًا في تشكيل الهوية الإسلامية للمسلمين في ماليزيا، حيث مثّلت نافذة لفهم الدين وتعاليمه، ووسيلة للاتصال بالعالم الإسلامي الأوسع. وتاريخ تعليمها في ماليزيا يكشف عن تفاعل ديناميكي بين الحاجة الدينية من جهة، والمتغيرات الاجتماعية والتعليمية من جهة أخرى. فبينما كان تعليمها في القرون الأولى يتم عبر المساجد والزوايا والمدارس التقليدية، فإن القرن العشرين شهد تحولات كبيرة تمثلت في ظهور المدارس النظامية الدينية، وإدماج اللغة العربية ضمن السياسات التعليمية الرسمية، لا سيما بعد استقلال ماليزيا.

وتأتي أهمية هذا البحث من كونه يسلّط الضوء على هذه المسيرة التاريخية، ويحلل محطاتها الأساسية، ويستقرئ العوامل التي أسهمت في انتشار العربية أو تراجعها، مستندًا إلى مصادر تربوية وتاريخية موثوقة. كما يسعى إلى تقديم فهم أعمق لتجربة تعليم اللغة العربية في بيئة غير عربية، وكيفية تطويعها لخدمة الأهداف التربوية والدينية والثقافية.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة هذا البحث في الحاجة إلى فهم التطور التاريخي لتعليم اللغة العربية في ماليزيا، وكيف تفاعل مع المتغيرات الدينية والسياسية والاجتماعية عبر العصور.

أسئلة البحث

للإجابة عن إشكالية تطور تعليم اللغة العربية في ماليزيا، تم تحديد الأسئلة التالية لتوجيه الدراسة:

١) كيف نشأ تعليم اللغة العربية في ماليزيا، وما هي ملامحه في المراحل الأولى المرتبطة بدخول الإسلام؟

٢) ما دور المدارس الدينية والعلماء في دعم تعليم اللغة العربية قبل الحقبة الاستعمارية؟

٣) كيف أثّرت السياسات الاستعمارية البريطانية على وضع اللغة العربية في النظام التعليمي الماليزي؟

٤) ما هي أبرز ملامح تطور تعليم اللغة العربية في ماليزيا في العصر الحديث، لا سيما بعد تطبيق برنامج (J-QAF)؟

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

١) توثيق النشأة الأولى لتعليم اللغة العربية في ماليزيا منذ دخول الإسلام، وإبراز السمات الأساسية لهذه المرحلة المبكرة.

٢) تحليل دور المدارس الدينية والعلماء المحليين في ترسيخ تعليم اللغة العربية خلال الحقبة التقليدية السابقة للاستعمار.

٣) دراسة أثر الاستعمار البريطاني والسياسات التعليمية المصاحبة له في تراجع تعليم اللغة العربية في المؤسسات الرسمية.

٤) تتبع جهود إحياء تعليم اللغة العربية في العصر الحديث، مع التركيز على دور الدولة في تبني برامج تعليمية حديثة مثل برنامج (J-QAF).

المبحث الأول: بدايات تعليم اللغة العربية في ماليزيا

دخول الإسلام إلى ماليزيا

يُجمع المؤرخون على أن دخول الإسلام إلى أرخبيل الملايو، ومنه ماليزيا الحالية، لم يكن نتيجة حملات عسكرية أو توسع سياسي، "بل جاء عبر طرق التجارة والملاحة البحرية في المحيط الهندي، لا سيما من خلال التجار والدعاة العرب واليمنيين والهنود المسلمين" (حسين، ١٩٨٧م، ص٣٨٠). وقد بدأت هذه التأثيرات الإسلامية تظهر في سواحل شبه جزيرة الملايو منذ القرن السابع الميلادي، "لكنها تبلورت بوضوح في القرن الثالث عشر مع قيام مملكة "ملاكا الإسلامية" التي اعتنق سلطانها الإسلام وأعلن تبنيه للدين الجديد رسميًا" (عبد الوهاب، ١٩٩٣م، ص٥٠)، فصار بذلك نموذجًا يُحتذى في تبني الإسلام كلغة وثقافة وهوية.

لقد أدى انتشار الإسلام إلى إدخال اللغة العربية ضمن مكونات الحياة الدينية والتعليمية للمجتمع الملايوي، فكانت الحاجة ماسة لتعلمها باعتبارها لغة القرآن الكريم، والشعائر الدينية، والعلوم الشرعية. ومنذ تلك اللحظة، أصبح تعليم اللغة العربية جزءًا لا يتجزأ من الدعوة الإسلامية والتدين الشعبي، وأسهم في تعزيز حضورها كمقوم ثقافي ديني، لا كلغة أجنبية.

تعليم العربية في المساجد و الكتاتيب

شكل المسجد في المجتمعات الملايوية أول نواة حقيقية لتعليم اللغة العربية، حيث كان يؤدي أدوارًا تعليمية إلى جانب وظيفته التعبدية. "فإلى جانب تلاوة القرآن وتعليم الطهارة والعبادات، كان المسجد مكانًا لتدريس مبادئ اللغة العربية" (عثمان، ٢٠٠٩، ص١٤٠) ، خاصةً القواعد النحوية والقراءة والكتابة، باستخدام وسائل تقليدية كالألواح الخشبية والكتب المخطوطة، حيث تشير بعض الدراسات إلى أن تلاميذ المدارس الملايوية في الفترة الاستعمارية كانوا يتعلّمون الكتابة بالجاوية على ألواح حجرية/خشبية (papan batu) في ظل غياب كتب التمارين المطبوعة Razali (& Zulkifli, 2023)

"وقد تطورت هذه الحلقات التعليمية إلى ما يُعرف محليًا بـ(Pondok) أي الكتاتيب، وهي مراكز تعليمية تقليدية ملحقة بالمساجد أو مستقلة عنها" (إبراهيم، ٢٠٢٣، ص٩)، يتوافد عليها الطلاب من مختلف المناطق لتلقي العلوم الإسلامية واللغة العربية. وكان الطالب يقيم في تلك المدارس إقامة شبه دائمة، ويخضع لنظام صارم يعتمد على التكرار والحفظ والتلقي المباشر من الشيخ. وقد استمر هذا النموذج لقرون، وأسهم بشكل كبير في تكوين طبقة من المتعلمين الملايويين القادرين على قراءة النصوص الدينية باللغة العربية والتفاعل مع التراث الإسلامي المكتوب.

كما اتسم تعليم اللغة العربية في هذه المؤسسات التقليدية "بالاعتماد على الكتب التعليمية المعروفة في العالم الإسلامي، مثل "الآجرومية" في النحو، و"قطر الندى وبلّ الصدى" و"ألفية ابن

مالك"، إضافة إلى كتب في الصرف والبلاغة والفقه" (الحداد، ١٩٨٥م، ص١١٤). وكانت عملية التدريس تتم غالبًا بلغة الملايو المكتوبة بالحرف العربي المعروف بـ"جاوي"، ما ساعد في ترسيخ استخدام العربية ومفرداتها داخل اللغة الملايوية ذاتها.

دور العلماء العرب والملالي الماليزيين

شكّل العلماء والدعاة القادمون من العالم العربي، لا سيما من حضرموت ومكة والمدينة، ركيزة أساسية في نشر تعليم اللغة العربية في أرخبيل الملايو منذ القرون الهجرية الأولى، وبخاصة منذ القرن الثالث عشر الميلادي. فقد استقر عدد من هؤلاء العلماء في مناطق متعددة من الأرخبيل، ومنها ماليزيا الحالية، وأسهموا في نشر الإسلام واللغة العربية من خلال حلقات العلم والتعليم في المساجد، والكتاتيب التقليدية (الفنادق).

وقد تميز الحضور العربي في المنطقة بفاعليته التعليمية والدعوية، "خاصةً من قبل العلماء الحضرميين، الذين انتقلوا عبر خطوط التجارة والموانئ الإسلامية مثل ملقا وجوهور وباتاني" (إبراهيم، ٢٠٢٣م، ص١٣). ورغم عدم وجود توثيق دقيق حول أسماء جميع الشخصيات العربية التي مارست هذا الدور، فإن الإسهام العربي كان واضحًا في تأسيس شبكة تقليدية للتعليم الإسلامي باللغة العربية، تم فيها التركيز على تدريس القرآن الكريم، والفقه الشافعي، وعلوم اللغة.

إلى جانب ذلك، لعب العلماء الملايويون المحليون الذين تلقوا تعليمهم في الحرمين الشريفين والأزهر الشريف دورًا محوريًا في توطين اللغة العربية ونقل العلوم الشرعية إلى بيئتهم. ومن أشهر هؤلاء:

- الشيخ عبد الرؤوف الفناني (١٦١٥–١٦٩٣م)، وهو أول عالم ملايوي يُعرف بأنه تلقى علومه في مكة المكرمة على يد الشيخ أحمد القشاشي (Azra, 2004) ، ثم عاد إلى بلده في آتشيه (شمال سومطرة إحدى المقاطعات الإندونيسية)، وأسهم في نشر التصوف وتعليم العربية، ويعد من أوائل من استخدم اللغة الملايوية الجاوية بالخط العربي (الجاوي) في التأليف.
- الشيخ داود بن عبد الله الفطاني (١٧٦٩–١٨٤٧م)، أحد أعلام التعليم الإسلامي في منطقة فطاني (جنوب تايلند)، وهو من أبرز من ألّف كتبًا دينية باللغة الملايوية الجاوية، وعُرف بترجماته ومؤلفاته التي دمجت بين اللغتين العربية والملايوية، مثل كتاب منهاج العابدين والدُّرّ الثمين.

وقد تبنّى هؤلاء العلماء أسلوب الإسناد العلمي المتصل، الذي كان سائدًا في الحواضر الإسلامية الكبرى، فكان الطلاب يتلقون العلم شفاها من أساتذتهم، ويحصلون على إجازات علمية موثقة، وهو ما منح التعليم الشرعي في أرخبيل الملايو أصالة علمية واتصالًا مباشرًا بالتراث الإسلامي الأصيل.

كما أن المدارس والمساجد التي أنشأها هؤلاء العلماء أو أُنشئت بجهود المجتمعات المحلية كانت تُدرّس العربية بوصفها لغة أساسية لفهم القرآن والسنة، وليس لمجرد أغراض التواصل اللغوي. وقد شكل هذا الاتجاه نقطة انطلاق قوية لنهضة تعليم العربية في ماليزيا لاحقًا، رغم تواضع الموارد والأساليب في تلك الحقبة.

إن هذه المرحلة التأسيسية، وإن افتقرت إلى تنظيم رسمي ومناهج مكتوبة موحدة، إلا أنها أرست دعائم تعليم لغوي عربي مرتبط بالهوية الدينية، وأسهمت في بناء طبقة علمية محلية قادرة على الاستيعاب والنقل والشرح، وهو ما مهّد الطريق لتطور التعليم الديني والعربي في العصور اللاحقة، سواء في المدارس التقليدية أو الرسمية.

المبحث الثاني: المدارس الدينية وانتشار تعليم اللغة العربية

المدارس الملحقة بالمساجد

بعد أن ترسخت جذور الإسلام في المجتمع الملايوي، باتت المساجد مركزًا متعدد الوظائف، تجمع بين العبادة والتعليم والفتوى والاجتماع. وفي ظل غياب بنية تعليمية رسمية في تلك الحقبة، تحولت المساجد تلقائيًا إلى مؤسسات تعليمية أولية، يلتحق بها الطلاب لتعلم أساسيات الدين واللغة العربية (الحداد، ١٩٨٥م، ص١٢٠). وكان التعليم يتم وفق نمط "الحلقة"، حيث يجلس الطلاب حول شيخ المسجد لتلقي العلم شفهيًا.

وقد تركزت هذه الحلقات على حفظ القرآن الكريم وتجويده، ودراسة اللغة العربية بوصفها أداة لفهم النصوص الدينية. وتم تدريس النحو والصرف وعلوم البلاغة إلى جانب الفقه والحديث. واعتمدت هذه الحلقات على كتب تراثية متداولة في المشرق الإسلامي، مثل: الآجرومية، وقطر الندى، وألفية ابن مالك، وغيرها.

وتنوعت مستويات الطلاب ما بين المبتدئين والمتقدمين، وكان التقدم الدراسي غير مرتبط بسن معينة، بل بقياس التحصيل والفهم. ولم تكن هناك شهادات رسمية، بل كان الاعتراف بالمستوى العلمي يتم من خلال "الإجازة" التي يمنحها الشيخ للطالب بعد إتقانه مادة معينة، وهي تقليد عريق في التعليم الإسلامي (إبراهيم، د.ت، ص٢٠).

ساهمت هذه المدارس الملحقة بالمساجد في نشر اللغة العربية بين عامة الناس، وخاصة في الريف والقرى، وأسست لبيئة لغوية دينية حافظت على الصلة المباشرة بالنصوص الشرعية بلغتها الأصلية، وهو ما ساعد على ترسيخ الثقافة الإسلامية العربية في الوعي العام الماليزي.

المدارس العربية (الحامدية، المحمدية، المشهور الإسلامية وغيرها)

مع بدايات القرن العشرين، بدأت تظهر الحاجة إلى تنظيم التعليم الديني ضمن مؤسسات أكثر تطورًا، قادرة على مواكبة التغيرات الاجتماعية والسياسية في البلاد، خاصة مع بداية التأثيرات الغربية والاستعمار البريطاني. ونتيجة لذلك، ظهرت المدارس العربية المستقلة التي تُدرّس العلوم الإسلامية واللغة العربية وفق مناهج أكثر تنظيمًا.

تُعد المدرسة الحامدية التي أُسست في ولاية قدح من أوائل هذه المدارس، حيث لعبت دورًا رائدًا في إدخال النمط المؤسسي إلى تعليم اللغة العربية (شيك، د.ت). وتلتها مدرسة المشهور الإسلامية في بينانج (١٩١٦م)، والمدرسة المحمدية في كلنتان (١٩١٥م)، وغيرها من المدارس التي انتشرت في مختلف الولايات الماليزية، خصوصًا في ولايات الشمال ذات الأغلبية الملايوية المسلمة.

اعتمدت هذه المدارس على اللغة العربية كلغة للتدريس، خاصة في المواد الشرعية، وقد وظّفت معلمين من خريجي الجامعات الإسلامية الكبرى في مصر ومكة والمدينة. كما تم اعتماد نظام الفصول الدراسية والامتحانات وتوزيع المواد، ما جعل التعليم العربي أكثر نظامية وتأثيرًا.

لم تكن هذه المدارس تقتصر على تعليم الذكور فقط، بل ظهرت لاحقًا مدارس خاصة بالإناث، في إطار توسع التعليم الإسلامي وتشجيع مشاركة المرأة في الحياة الدينية والتعليمية. وقد خرجت هذه المدارس أجيالًا من العلماء والدعاة الذين تسلموا فيما بعد مناصب تعليمية ودينية مهمة، وأسهموا في نشر اللغة العربية وتعزيز مكانتها.

التعليم العربي غير النظامي

إلى جانب المدارس النظامية، ظل هناك تعليم عربي غير رسمي يمارسه العلماء والدعاة في القرى والبيوت الخاصة والزوايا، وخاصة في المناطق النائية التي لا تصلها المدارس المركزية. وكان هذا التعليم يتم بأسلوب تقليدي يعتمد على التلقين والقراءة الجماعية والمطالعة الحرة، دون تقيد بمناهج أو مستويات محددة.

وغالبًا ما كان الطالب يتنقل بين العلماء طلبًا للعلم، ويختار شيخه بناء على سمعته العلمية. كما كانت بعض الأسر الماليزية ترسل أبناءها إلى مكة أو الأزهر الشريف لاستكمال دراساتهم، وهو ما أدى إلى تكوين نخب علمية مؤهلة لعبت دورًا في تعزيز اللغة العربية وتعليمها بعد عودتهم.

وقد شكّل هذا النمط من التعليم بيئة حرة تتيح الاجتهاد الشخصي، وتكرّس العلاقة الروحية بين الشيخ وتلميذه، رغم محدودية موارده وافتقاره إلى التنظيم الرسمي (إبراهيم، د.ت، ص٢٧)، إلا أنه أدى دورًا مهمًا في الحفاظ على اللغة العربية خلال فترات التراجع السياسي والتعليمي.

لقد أسهمت المدارس الدينية، سواء الملحقة بالمساجد أو المستقلة عنها، في نشر تعليم اللغة العربية على نطاق واسع في المجتمع الماليزي، ووفرت بيئة علمية قوية مكّنت من الحفاظ على التراث الإسلامي واللغة العربية في وجه التحديات. كما أسست لنظام تعليمي ديني له خصوصيته، ظل قائمًا حتى اليوم، ويُعد أحد المرتكزات التي بُنيت عليها محاولات تطوير التعليم العربي في العصر الحديث.

المبحث الثالث: تدخل المستعمر وتغير السياسية اللغوية في ماليزيا

الاستعمار الإنجليزي وإبعاد اللغة العربية

لقد شكلت الفترة الاستعمارية في ماليزيا نقطة تحول جوهرية في المسار التعليمي والديني والثقافي، وكان لذلك أثر بالغ في تراجع مكانة اللغة العربية في الحياة العامة والتعليمية على وجه الخصوص. فمع سيطرة بريطانيا على شبه جزيرة الملايو تدريجيًا منذ بدايات القرن التاسع عشر، بدأ مشروع استعماري يهدف إلى إعادة تشكيل البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهو ما انعكس مباشرة على النظام التعليمي.

كانت اللغة العربية قبل الاحتلال تُعد جزءًا من الهوية الإسلامية للمجتمع الملايوي، وتُدرّس في المدارس الدينية والمساجد و"الكتاتيب (pondok) ، وتستخدم في فهم النصوص الدينية والتشريع، كما كانت لغة التعليم الشرعي في المعاهد والمدارس التي أنشأها العلماء المحليون والعرب الوافدون. "غير أن الاحتلال البريطاني لم يُبدِ اهتمامًا بتعليم اللغة العربية أو المحافظة على هذا الإرث اللغوي والديني؛ بل عمل على إضعافه تدريجيًا عبر تهميش المؤسسات التعليمية التي تستخدم العربية، وعدم دعمها إداريًا أو ماليًا" (سليمان، ٢٠٢٢، ص٧٤).

وفي إطار استراتيجية السيطرة الناعمة، سعى الاستعمار إلى إحلال اللغة الإنجليزية مكان اللغة العربية في مجالات التعليم والتوظيف والحكم، حيث أصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة الإدارة والمدارس الحديثة، وربطت فرص الترقي الاجتماعي بوضع الفرد اللغوي والثقافي الجديد. وقد أدى ذلك إلى فصل التعليم الديني عن النظام الرسمي، وتحجيم تدريس العربية في المدارس التي اعتمدتها الدولة، وتحويلها إلى تعليم هامشي أو "اختياري."

كما قامت السلطات الاستعمارية بتقنين المدارس وإخضاعها للمراقبة، وكان يُنظر إلى المدارس العربية الدينية على أنها بيئة محتملة لنشر الوعي الديني والسياسي المناهض للاستعمار، مما جعلها هدفًا للتقييد والإقصاء من النظام التعليمي الوطني الناشئ آنذاك.

سياسات التعليم الرباعي

ضمن السياسة التعليمية الاستعمارية، أقرّت السلطات البريطانية نظامًا تعليميًا متعدد اللغات يُعرف باسم "السياسة الرباعية" (إبراهيم، د.ت، ص٣٣)، والذي اعتمد أربع لغات رئيسية كلغة للتعليم في المؤسسات المختلفة، هي:

١) اللغة الإنجليزية :كلغة أولى ولغة رسمية للإدارة والتعليم الراقي والنخبوي.

٢) اللغة الملايوية :كلغة تعليم ابتدائي للملايويين، خصوصًا في القرى.

٣) اللغة الصينية :لمدارس المجتمع الصيني.

٤) اللغة التاميلية (الهندية) :لمدارس الجالية الهندية في شبه الجزيرة.

وقد تم تهميش اللغة العربية تمامًا ضمن هذا الإطار، حيث لم تُدرج ضمن اللغات المعترف بها رسميًا في التعليم النظامي، بل بقي تعليمها محصورًا في مؤسسات دينية أهلية مستقلة عن الدولة. وهذا التوجه أدى إلى عزل العربية عن منظومة التعليم الرسمي، مما أضعف انتشارها، وقلص من فرص تعلمها لدى الأجيال الجديدة من الطلاب الماليزيين.

"كما لم تكن المناهج الرسمية تراعي الجوانب الدينية أو الثقافية المرتبطة بالإسلام، مما أدى إلى فجوة معرفية بين التعليم الحكومي والتعليم الديني، وعزز الانقسام بين التعليم العلماني والتعليم الشرعي" (إبراهيم، د.ت، ص٤١). وقد انعكس هذا الوضع على مخرجات التعليم، حيث أصبح خريجو المدارس الدينية يعانون من قلة الاعتراف الرسمي، في حين تراجعت قدرة خريجي المدارس الحكومية على قراءة وفهم النصوص الدينية بلغتها الأصلية.

نتائج وتداعيات المرحلة

كان من نتائج هذه السياسات الاستعمارية، وما تبعها من تغييرات لغوية وتعليمية، أن تراجعت العربية من كونها لغة دين وعلم وثقافة إلى مجرد لغة محصورة في أوساط ضيقة. ولم يعد تعلمها يمثل أولوية لدى الدولة أو المجتمع، بل أصبحت محصورة في حلقات مغلقة ومعزولة عن التيار التعليمي العام.

وقد أدى هذا التراجع إلى تراكم فجوة معرفية ولغوية، امتدت حتى ما بعد الاستقلال، مما تطلب جهودًا كبيرة لاحقًا لإعادة إحياء اللغة العربية وإدماجها في النظام التعليمي الرسمي، وهي الجهود التي ستتناولها الفصول التالية من هذا البحث.

ورغم هذه التحديات، فإن إصرار العلماء والمجتمع المسلم على الحفاظ على العربية كلغة دينية وتعليمية أساسية، أسهم في بقائها على قيد الحياة، ولو بشكل محدود، طوال فترة الاستعمار،

وهو ما شكّل القاعدة التي انطلقت منها النهضة التعليمية الحديثة للغة العربية في ماليزيا بعد الاستقلال.

المبحث الرابع: العودة الرسمية للعربية – من ١٩٧٧م إلى برنامج (J-QAF)

تأسيس المدارس الثانوية الدينية الوطنية (SMKA)

مثّلت فترة السبعينيات نقطة تحوّل في مسار تعليم اللغة العربية في ماليزيا، وذلك في سياق جهود الدولة بعد الاستقلال لإعادة الاعتبار إلى القيم الإسلامية في التعليم، وتعزيز الهوية الوطنية للملايويين المسلمين. وفي عام ١٩٧٧م، أطلقت وزارة التعليم الماليزية مشروعًا مهمًا تمثّل في تأسيس المدارس الثانوية الدينية الوطنية، المعروفة اختصارًا بـ SMKA – Sekolah Menengah Kebangsaan Agama).

"وقد جاء هذا المشروع استجابة لحاجة المجتمع إلى مؤسسات تعليمية تجمع بين التعليم الديني والتعليم الأكاديمي العام، وتسعى إلى تخريج جيل متمكن من العلوم الشرعية ومتفاعل في الوقت ذاته مع متطلبات العصر" (Asmah, 1985). كانت هذه المدارس داخلية في الغالب، تُوفّر بيئة تعليمية مكثفة، وتهدف إلى إعداد طلاب قادرين على مواصلة دراستهم في الجامعات الإسلامية داخل ماليزيا أو خارجها، ولا سيما في الجامعات العربية.

شكلت اللغة العربية أحد المكونات الأساسية في هذه المدارس، حيث كانت تُدرّس كمادة رئيسية، تُخصص لها حصص أسبوعية منتظمة، وتُستخدم كلغة وسيطة في تدريس بعض المواد الدينية مثل التفسير والحديث والفقه. كما استعانت الوزارة بمعلمين مؤهلين من خريجي الأزهر الشريف، وجامعة المدينة، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ما ساهم في رفع جودة تعليم العربية في هذه المدارس.

دخول اللغة العربية كمادة رسمية في النظام التعليمي

في نهاية التسعينيات، وضمن خطط وزارة التعليم لإدماج المواد الإسلامية في النظام العام، "بدأت العربية تُدرّس تدريجيًا في بعض المدارس الابتدائية الوطنية، خاصةً في المناطق ذات الأغلبية الملايوية" (Asmah, 1985). وكان ذلك جزءًا من سياسة شاملة لتوسيع دائرة تعليم اللغة العربية لتشمل مراحل مبكرة، بعد أن كان تركيزها محصورًا سابقًا في المرحلة الثانوية والدينية.

وفي عام ١٩٩٨م، أصدرت وزارة التعليم قرارًا يُجيز تدريس مادة اللغة العربية في المدارس الابتدائية الوطنية، وهو ما اعتُبر خطوة رائدة في سبيل إدماج العربية ضمن النظام التعليمي

الرسمي .في البداية، كانت المادة اختيارية وتُدرّس في عدد محدود من المدارس، لكنها شكّلت أساسًا مهمًا للمرحلة التالية من التطوير.

ورغم هذه الخطوة، إلا أن تعليم العربية في المرحلة الابتدائية ظل محدود التأثير، نظرًا لقلة الكوادر المؤهلة، وضعف الإشراف التربوي، وغياب بيئة تعليمية داعمة. الأمر الذي استدعى الحاجة إلى مشروع وطني متكامل لتطوير تعليم العربية وتعزيز حضورها منذ المراحل المبكرة، وهو ما تحقق لاحقًا من خلال برنامج (J-QAF).

انطلاقة برنامج J-QAF سنة ٢٠٠٥

في عام ٢٠٠٥م، أطلقت وزارة التعليم الماليزية برنامجًا استراتيجيًا واسع النطاق تحت مسمى (J-QAF)، وهو اختصار لمكونات البرنامج الأربعة (إبراهيم، ٢٠٢٣، ص٢٨):

- Jawi الحروف العربية في اللغة الملايوية
- Quran القرآن الكريم
- Arabic اللغة العربية
- Fardhu Ain العلوم الدينية الأساسية

جاء البرنامج كمبادرة من رئيس الوزراء آنذاك، عبد الله أحمد بدوي، الذي دعا إلى تعزيز القيم الإسلامية في التعليم الوطني، وإعادة دمج اللغة العربية في المناهج التربوية منذ الصفوف الأولى. وقد خُطط للبرنامج بعناية ليُطبّق تدريجيًا على مستوى المدارس الابتدائية الوطنية (إبراهيم، ٢٠٢٣، ص ٣٤)، بدايةً من الصف الأول، مع تدريبه خاص للمعلمين، وإعداد كتب مدرسية حديثة، وتطوير استراتيجيات تدريس مبتكرة.

تميز برنامج J-QAF بعدة سمات، من أبرزها (إبراهيم، د.ت، ص٥٧):

- إدماج اللغة العربية كمادة إجبارية في المدارس الابتدائية الوطنية المختارة.
- إعداد معلمين متخصصين من خلال برامج دبلوم وتدريب مكثف في معاهد المعلمين.
- اعتماد وسائل تعليمية حديثة، بما في ذلك الوسائط التفاعلية والأنشطة الصفية.
- تعزيز الربط بين اللغة العربية والتربية الدينية، لبناء تكامل بين المهارات اللغوية والمفاهيم الإسلامية.

وقد أسهم البرنامج في إحداث نقلة نوعية في تعليم اللغة العربية في ماليزيا، من حيث الانتشار والجودة، كما أثار اهتمام المجتمع المحلي بأهمية العربية في بناء الهوية الإسلامية وتعزيز الأداء الديني للطلاب.

نتائج وتقييم المرحلة

يمكن القول إن الفترة الممتدة من ١٩٧٧م إلى ٢٠٠٥م شهدت تحولًا جوهريًا في مكانة اللغة العربية في النظام التعليمي الماليزي. فبعد أن كانت معزولة في المدارس الدينية فقط، أصبحت مادة معترفًا بها ضمن السياسة التعليمية الوطنية، ومكونًا أساسيًا في التعليم الإسلامي الرسمي.

وقد مهّد هذا التحول الطريق لتوسيع تعليم العربية على المستوى المؤسسي، وخلق بيئة تعليمية مؤهلة لتخريج أجيال جديدة قادرة على التفاعل مع التراث الإسلامي وفهم النصوص الشرعية بلغة القرآن، الأمر الذي يعزز من تماسك الهوية الدينية للمجتمع الماليزي في ظل العولمة.

خاتمة

يمثّل هذا البحث محاولة علمية لرصد تطوّر تعليم اللغة العربية في ماليزيا عبر مسار تاريخي طويل، اتسم بتغيرات دينية وسياسية وتعليمية متعددة. وقد مر تعليم العربية في هذا البلد بعدة مراحل متمايزة:

- بدأت المرحلة الأولى مع دخول الإسلام إلى أرخبيل الملايو، حيث ارتبط تعليم العربية بالوظيفة الدينية، وتركّز في المساجد و"الفنادق" (الكتاتيب)، وانتشر بفضل جهود العلماء المحليين والوافدين.
- ثم جاءت المرحلة الثانية التي شهدت ازدهار المدارس الدينية التقليدية، وظهور المدارس العربية مثل الحامدية والمشهور والمحمدية، حيث أصبحت العربية تُدرّس بشكل أكثر تنظيمًا، وإن بقيت خارج إطار النظام الرسمي.
- أعقبت ذلك مرحلة حرجة تمثلت في فترة الاستعمار البريطاني، والتي تميزت بتهميش متعمد للغة العربية، واستبعادها من النظام التعليمي الرسمي عبر تطبيق سياسة تعليمية رباعية اللغات، مما أثر سلبًا على انتشار العربية ومكانتها.
- ثم جاءت مرحلة العودة الرسمية للعربية بعد الاستقلال، بدءًا من عام ١٩٧٧م مع تأسيس المدارس الثانوية الدينية الوطنية (SMKA)، وصولًا إلى إطلاق برنامج J-QAF في ٢٠٠٥م، والذي مثّل نقلة نوعية في تدريس اللغة العربية ضمن المدارس الابتدائية الوطنية.

إن هذا التطور التاريخي يُسهم في فهم الواقع الراهن لتعليم اللغة العربية في ماليزيا، ويوضح أن وضع اللغة اليوم هو نتاج تفاعل معقد بين عوامل دينية وثقافية واستعمارية وسياسات وطنية تعليمية. كما يُبرز أن تعليم اللغة العربية في ماليزيا لم يكن معزولًا عن السياق السياسي، بل كان مرآة له.

REFERENCES

أولًا: المراجع العربية

إبراهيم، مجدي حاج. (٢٠٢٣). اللغة العربية في ماليزيا. الرياض: مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.

إبراهيم، مجدي حاج. (د.ت). إضاءات على أهم الإنجازات الماليزية في نشر اللغة العربية. الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

الحداد، علوي بن طاهر. (١٩٨٥م). المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى. محمد ضياء شهاب (محقق ومعلق). المملكة العربية السعودية. جدة: عالم المعرفة. ط١.

حسين، مؤنس. (١٩٨٧م). أطلس تاريخ الإسلام .القاهرة: دار الزهراء.

سليمان، إبراهيم محمد حامد. (٢٠٢٢) .سلطنة ملقا الإسلامية: دراسة في النشأة والأوضاع السياسية والتجارية. مجلة كلية الآداب، كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

شيك، عبد الرحمن. (د.ت). تعليم اللغة العربية في ماليزيا. مقال منشور على موقع عرب تايمز.

عثمان محمد، عمر حسب الله رسول. (٢٠٠٩). أهمية لغة القرآن الكريم وانتشارها في ماليزيا . مجلة دراسات دعوية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد 18.

كيا، عبد الوهاب الحاج. (١٩٩٣). مسلمو ماليزيا بين الماضي والحاضر. رسالة ماجستير منشورة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

Asmah Haji Omar. (1985). *Language and Society in Malaysia*. Kuala Lumpur: Dewan Bahasa dan Pustaka.

Azra, Azyumardi. (2004). *The Origins of Islamic Reformism in Southeast Asia: Networks of Malay–Indonesian and Middle Eastern 'Ulama' in the Seventeenth and Eighteenth Centuries*. Honolulu: University of Hawaii Press.

Razali, Amir al-Farisi & Zulkifli, Hafizah. (2023). "Kaedah Pengajaran Buta Huruf Jawi dan Huruf Hijaiyyah dalam Kalangan Pelajar Sekolah Menengah Harian." *Malaysian Journal for Islamic Studies*, 7(1), 10–21.